الرحلة الثانية من رحلات

حضرات أصحاب السمو الملكي الأمير فاروق أمير الصعيد

والأميرتين فائزة وفوزية

لزيارة المساجد الأثرية

بيان تاريخي عن مسجد السلطان حسن

وشرح مميزاته الفنية

وضع

محمود أحمد

مدير الآثار العربية بوزارة الأوقاف

(مطبعة وزارة الأوقاف ١٩٣٥)

مسجد السلطان حسن

منشئ المسجد ـ هو السلطان الناصر حسن بن الناصر محمد ابن المنصور قلاون ولد سنة ٧٣٥ هجرية (١٣٤٣ م) وتولى الملك وعمره ثلاث عشرة سنة وذلك فى يوم الثلاثاء ١٤ رمضان سنة ٧٤٨ هـ (١٨ ديسمبر ١٣٤٧ م) بعد أخيه الملك المظفر حاجى . فلم يكن له من الأمر شئ حيث كان القائم بتدبير المملكة الامير شيخو العمرى .

لكن الناصر مالبث أن استبد بالمملكة وصفت له الدنيا ولم يشاركه أحد فى التدبير فبالغ فى أسباب الطمع واستحوذ على أملاك بيت المال فلم يزل على ذلك الى أن اعتقل فى سنة ٧٥٢ هجرية (١٣٥١ م) فخلفه أخوه الصالح صالح ثم أعيد الناصر حسن فى سنة ٧٥٥ هجرية (١٣٥٤ م) .

وفى أثناء اعتقاله اشتغل بالعلم كثيرا حتى أنه نسخ دلائل النبوة للبيهقى . وكان ملكا حازما شجاعا صاحب حرمة وافرة وكلمة نافذة ودين متين ومدة ولايته الثانية ست سنين وسبعة أشهر وأيام .

استشهد فى سنة ٧٦٢ هجرية (١٣٦١ م) ولم يعرف له مكان قبر وترك عشرة بنين وست بنات وكان عمره اذ ذاك بضع وعشرون سنة وهو خير ملوك الدولة التركية .

المسجد - كان البدء فى عمارة هذا المسجد سنة ٧٥٧ هـ (١٣٥٦ م) واستمر العمل فيه ثلاث سنين بدون انقطاع ، وموقعه جنوبى شرق المدينة فى الجهة الغربية البحرية من القلعة بآخر شارع محمد على بمصر وهو أكثر مساجد القطر فخامة وأحسنها شكلا وأجمعها لمحاسن العمارة وأدلها على عظم الهمة وغاية العناية التى بذلت فى انشائه وطوله ١٥٠ مترا وعرضه ٦٨ مترا ومساحته ٧٩٠٦ أمتار وارتفاعه عند بابه ٣٧,٧٠ مترا ووجهته البحرية مشرفة على شارع محمد على وهى الوجهة الاصلية ، ووجهته الجنوبية الشرقية مشرفة على ميدان صلاح الدين ، ووجهته البحرية الغربية مجاورة لاطلال الساقية التى يجاورها منتزه عام .

ومن الصعب تحديد شكله لأن فى وضعه بعض ازورار وغاية ماينتهى اليه الوصف أنه كثير الاضلاع ممتد من الشمال الغربى الى الجنوب الشرقى

والداخل الى هذا المسجد من بابه البحرى العام يواجهه مدخل مربع الشكل من الطراز الجركسى المتعامد مكون من ثلاثة ايوانات وصحن يشبه أن يكون مسجدا صغيرا و يجد على يساره الى الجهة الشرقية طريقا مستطيلا يصعد اليه بسلم ذى سبع درجات ، ثم ينثنى فيه الى الجهة الشرقية القبلية فيصل الى صحن المسجد ، ومقاسه ٣٢ مترا فى ٣٤,٦٠ مترا ويتوسطه حوض كبير للوضوء تعلوه قبة محمولة على ثمانية أعمدة من الرخام ، وعلى جوانب هذا الصحن الاربعة ايوانات المعدة لاقامة الشعائر الدينية ،

وفى كل زاوية من زواياه باب يوصل الى احدى المدارس الاربعة التى شيدها منشئ المسجد ليدرس فى كل مدرسة منها مذهب من المذاهب الاربعة وأكبر هذه المدارس القسم المخصص للمذهب الحنفى حيث تبلغ مساحته ٨٩٨ مترا مربعا .

والثلاثة أيوانات البحرية والقبلية والغربيـة سقف كل واحد منها على شكل قبو مدبب من الحجر ومساحاتها متقاربة .

أما الايوان الشرقى فهو أكبر الايوانات ويشـتمل على بدائع من الفن . فجدرانه مكسوة بالرخام والاحجار الفاخرة الملونة ، وبدائره أطار مزخرف بنقوش من الخط الكوفى مكتوب به آيات من سـورة الفتح آية فى البهاء ودقة الصنع لا يوجد الآن له مثيل ، وسقفه معقود عقدا ستينيا ومبنى بالآجر ماعدا مبدئه من جهة الصحن فانه بالحجر ، وهو أكبر عقد بنى على ايوان بمصر

وفى هذا الايوان دكة من الرخام أقيمت على ثلاث دعائم بينها ثمانية أعمدة وقد أحكمت صنعتها وخاصة زواياها الاربع التى بها أعمدة رفيعة مكونة من قطع الرخام المختلفة اللون الدقيقة الصنع .

وفى وسط وجهته الشرقية المحراب المجوف ، الذى يكتنفه أربعـة أعمـدة من الرخام والمحلى بقطع من الرخام والنقوش الذهبية ممـا جعله

من أجمل الآثار الصناعية ، وعلى يمين محراب المنبر وهو من الرخام الابيض وبابه من الخشب المصفح بالنحاس المسبوك المنقوش البديع الصنع والمنظر

وبجانبي القبلة من الوجهة الشرقية بابان يوصلان الى القبة العظيمة التي بوسطها مقصورة من خشب حديثة الصنع داخلها تابوت من رخام ، عمل بعد وفاة السلطان حسن بنحو ثلاث وعشرين سنة ، ومنقوش على شاهده تاريخ انشائه سنة ٧٨٦ هجرية (١٣٨٤ م) .

وهذان البابان الموصلان للقبة كانا مصفحين بالنحاس المكفت بالذهب والفضة وقد عبثت يد الزمان بأحدهما وهو الشمالى ، فأبادت كل ما كان عليه من كسوة ، وبقى الباب الآخر محفوظة كسوته من عبث الايام ، والناظر فى صناعة الكسوة الذهبية الفضية الباقية الآن بالباب القبلى وفى الرسوم الهندسية والنباتية ، التى وضعت بها يدهش من غاية الاتقان الصناعى ، الذى وصل اليه فن الزخرفة فى ذلك العصر .

وهذه القبة مربعة الشكل طول كل جانب منها ٢١ مترا من الداخل ومساحتها ٧٥١ مترا مربعا وارتفاع جدرانها ٣٠,٢٠ مترا الى مبدأ القبة التى تبلغ ذروتها ٤٨ مترا ، وجميع جدرانها مكسوة بالرخام الفاخر الملون بارتفاع ثمانية أمتار على أشكال مستطيلة عجيبة ، ما بين كبيرة وصغيرة .

وفوق ذلك طراز من خشب بعرض ٣ أمتار محلى بكتابة من الخط النسخ مختومة بما نصه (وكان الفراغ من هذه القبة المباركة فى شهور سنة ٧٦٤ هـ)

ومن أحسن الآثار الكرسى المحفوظ بجانب من جوانب هـذه القبة الذى كان معدا لوضع المصحف الشريف عليه وتلاوة القرآن داخل القبة وهو من خشب وقوائمه ورؤوسه وجوانبه من خشب نق وحشوه من أبنوس سودانى مطعم بعضه بالعاج والابنوس والقصدير ، وهو أقدم كرسى عثر عليه بديار مصر للآن ، وفى صناعته دقة تعجز مهرة الصناع من حيث اتصال تقاسيم جوانبه الثلاثة بعضها ببعض . ويلفت النظر أيضا فى هذه القبة المقرنصات الموجودة فى الزوايا الاربعة وتعتبر من أجمل وأغرب ما صنع من نوعها .

ويوجد بالدور الارضى خلف الايوان الغربى حوش كبير للوضوء مساحته ٤١٢ مترا مربعا . وعلى مسافة ٣٠ مترا تقريبا من الجهـة البحرية الغربية توجد ساقيـة كبيرة كانت مخصصة لايجاد المـاء اللازم للمكان .

وبالجانب القبلى الشرقى من المسـجد المنارتان العظيمتان التى يبلغ ارتفاع كبراهما ٨١,٦٠ مترا .

وجميع الزخارف وآثار الصناعة التى فى داخل هذا المسجد وخارجه تسترعى النظر وخاصة باب الدخول العـام والوجهة القبلية الشرقية التى تعلوها المنارتان ، والرفرف الكبير المركب من ستة مداميك مقرنصات والعلو الشامخ فى سائر الوجهات مع ما فيها من النوافذ على ثمان طبقات .

هذا ولما توفى السلطان حسن كان المسجد لم يكمل بعد فاستمر فى عمارته أحد أمرائه بشير أغا الجمدار ومع ذلك فان بعض زخارف الوجهات لم تكمل الى الان .

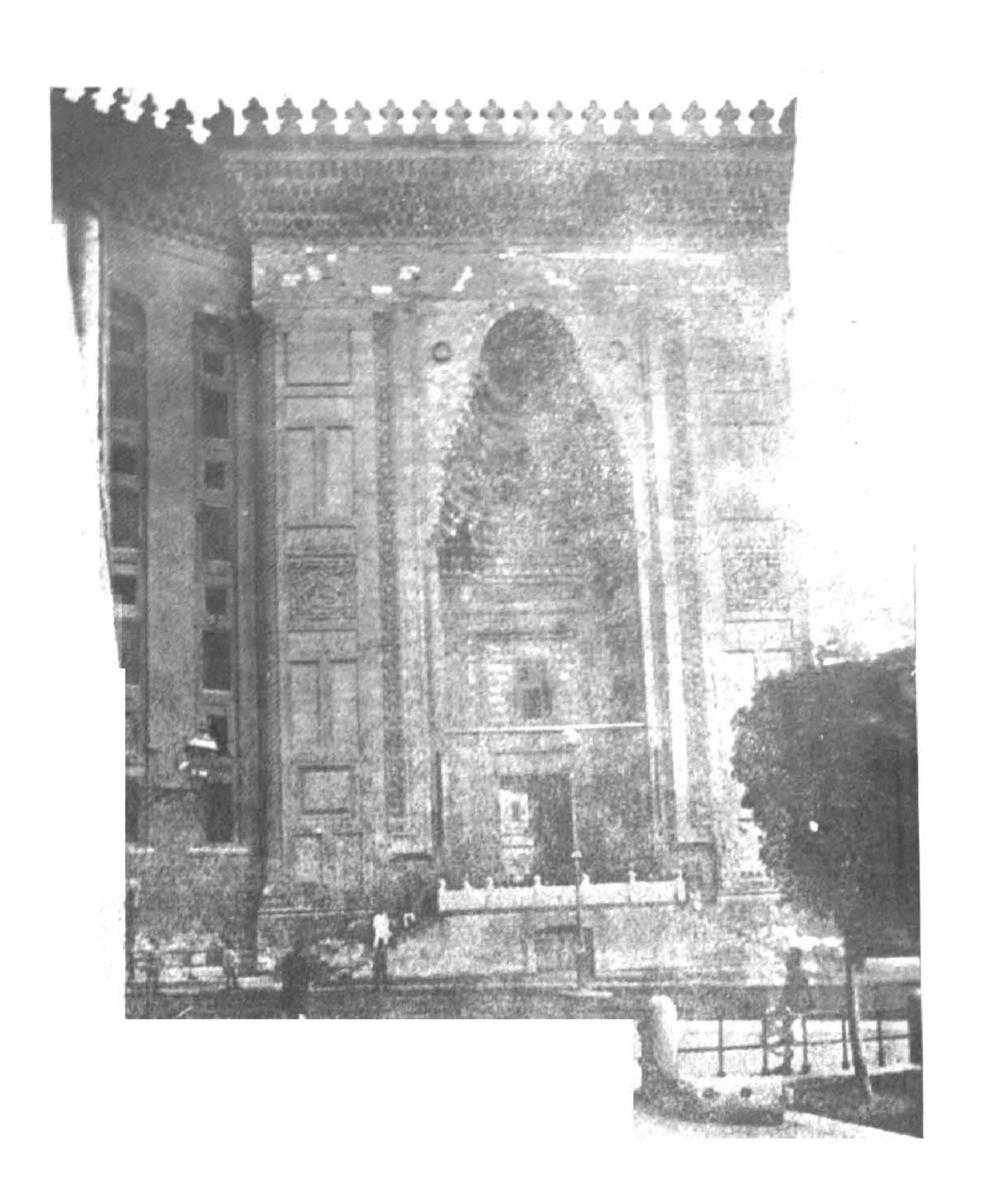
وكان هـذا المسجد فى حالة سيئة وقد قامت لجنـــة حفظ الآثار العربية باصلاحه على الحالة التى بها الآن .

المصـــادر

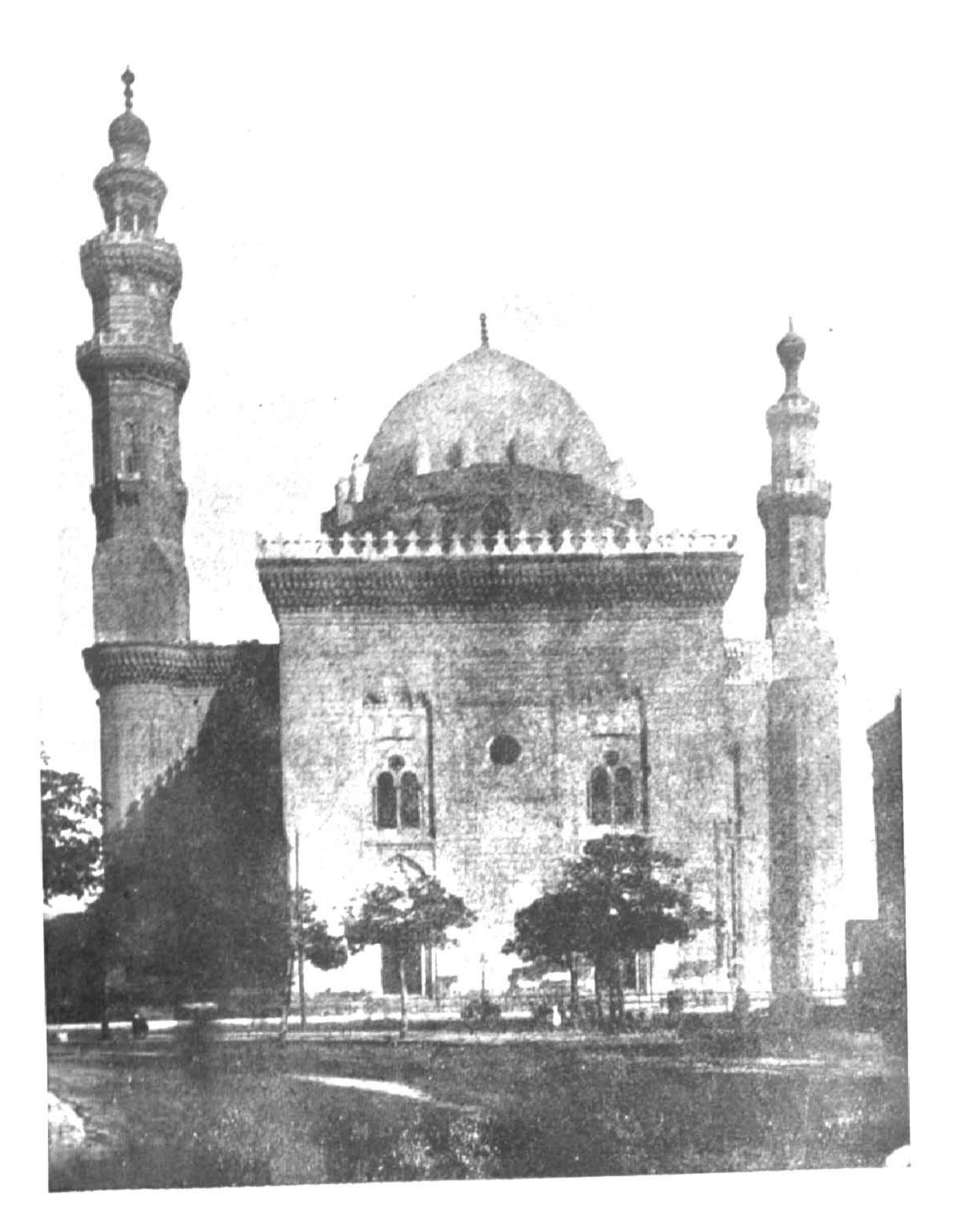
١ ـ خطط المقريزى ... ... الجزء الثانى

١ ـ تاريخ ابن اياس ... ... الاجزاء ١ و ٢ و ٣

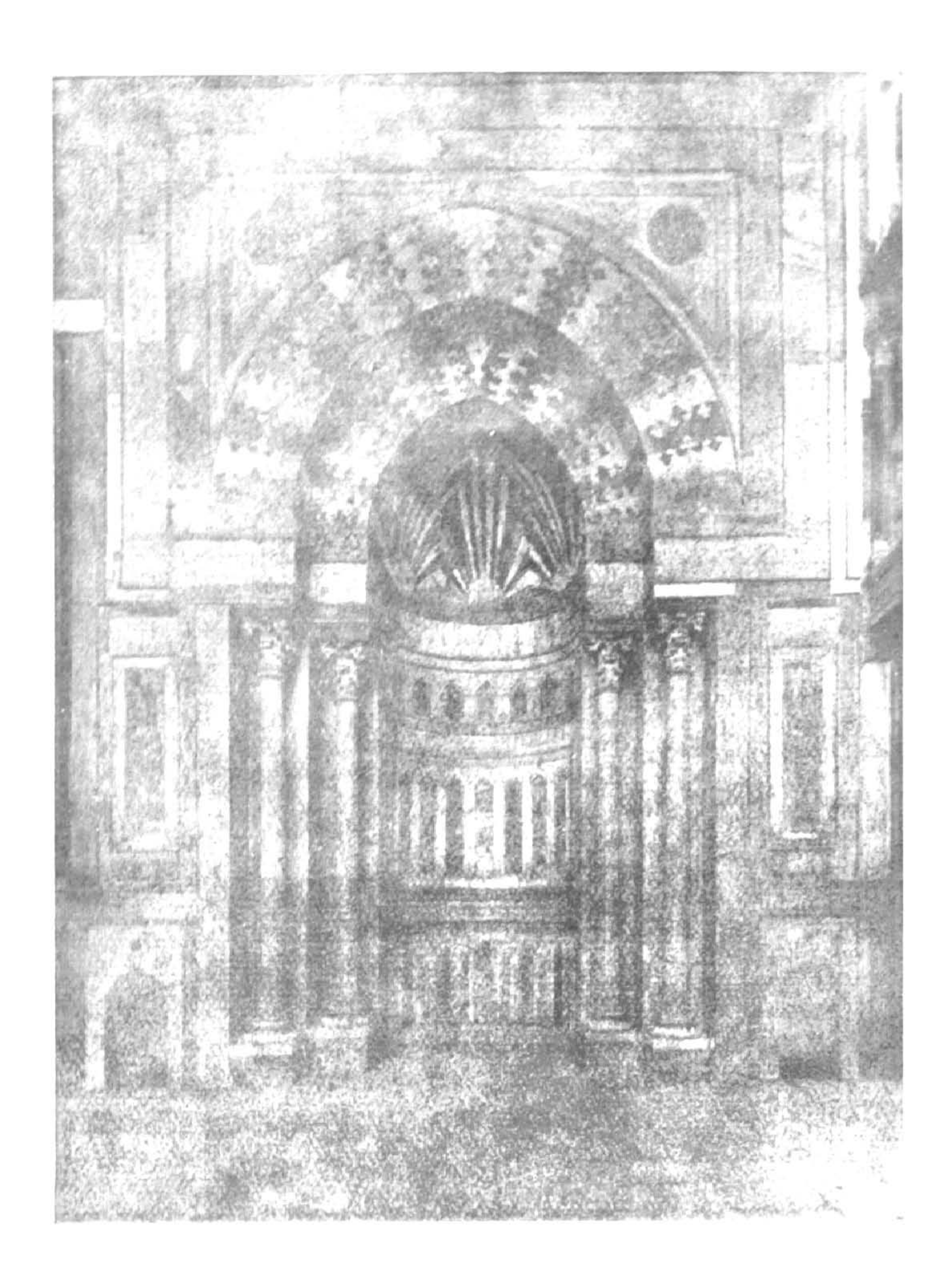
١ ـ الدرر الكامنة لابن حجر العسقلانى ... خـــط



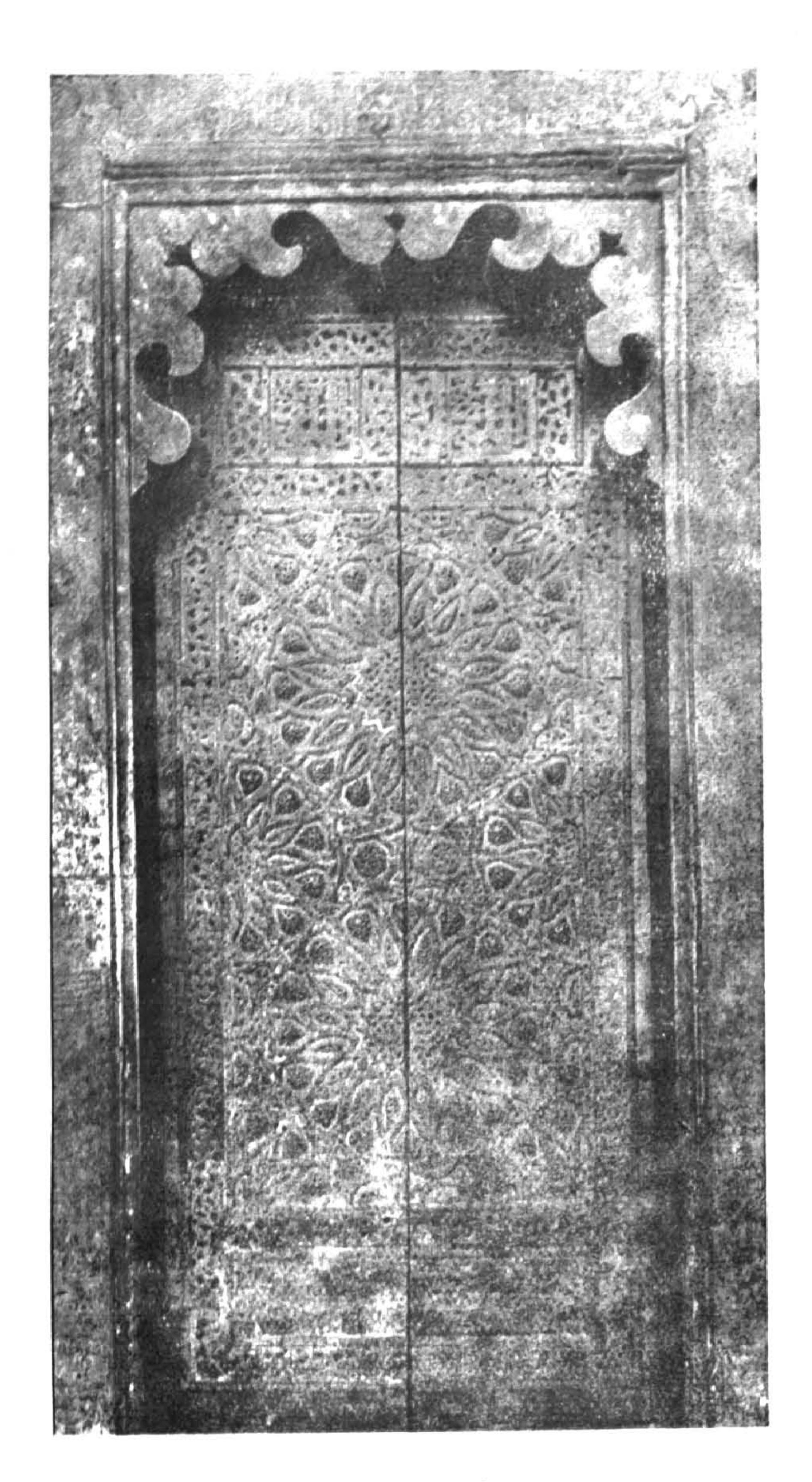
الباب العمومى للجامع



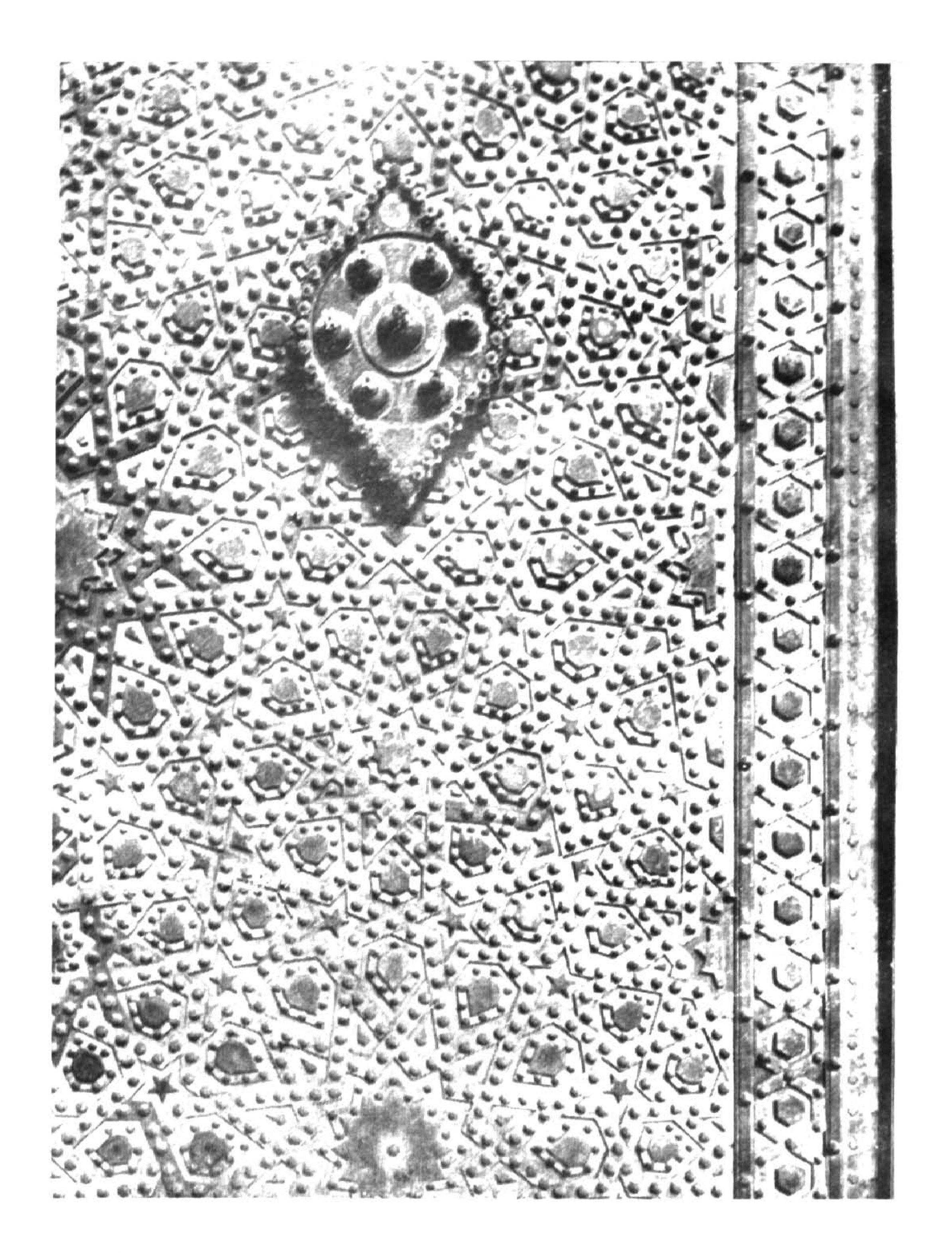
منظر عام للقبة والمنارتين من الجهة الشرقية



المحــــــراب



باب المنبر



جزء من الكسوة النحاس المطعمة بالذهب والفضة بباب القبة

الكائن على يمين المحراب